الترابط الدلالي في الخطابة النبوية

م. د. يسرى خلف حسين
جامعة بغداد/ كلية التربية – ابن رشد

الملخص :

الترابط الدلالي كيفية تمكن السامع من إدراك تدفق المعنى الناتج من تنظيم نص الخطاب وتماسكه، وبه يصبح النص الخطابي وحدة اتصالية متجانسة مفهومة منظمة التسلسل والبناء والارتباط بين جمل الخطاب المتتابعة .

يظهر الإبداع النبوي الشريف في الاختيار والتركيب للمفردات داخل سياقها لتفجر الطاقات الحاملة للمعاني النابضة بالحياة مراعاة لظروف المقام، وحالة المسلمين المخاطبين، ومقتضى حالهم في التواصل اللغوي، وهذا التواصل بين حامل الرسالة والمتلقين للخطاب هو الأساس الذي يبنى عليه الوجه الاجتماعي في اللغة، إذ تتمثل فيه العلاقات والأحداث التي تسود الأجواء ساعة أداء المقال وتحديد الدلالة والموضوع يأتي من تظافر المواقف والنصوص .

فالخطابة حدث كلامي وهدف للمضمون وموقف للاتصال والتواصل وممارسة فعلية اجتماعية للنص المنطوق يحقق القصد بالإخبار والقبول والتأثير بطريقة معينة معلومة متصورة بين الحدث الكلامي وسياقه، أن فهم الحدث الخطابي يعني معرفة المرسل، والمتلقي، والعلاقة بينهما في إطارها الزماني والمكاني، فالخطيب له الأثر الواضح في موضوع الخطابة ومضمونها وبنائها وسياقها، فهو العنصر المتحكم في الموضوع والمضمون والمتلقي السامع عليه أن يتابع الخطيب في ما يسمع ويعي ما يراد من الخطبة من دلالة وإيحاء .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأكرم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الميامين المنتجبين.

الترابط الدلالي كيفية تمكن السامع من إدراك تدفق المعنى الناتج من تنظيم نص الخطاب وتماسكه، وبه يصبح النص الخطابي وحدة اتصالية متجانسة مفهومة منظمة التسلسل والبناء والارتباط بين جمل الخطاب المتتابعة.

فهم النص في ترابطه يتم عن طريق تفاعل المعلومة الخطابية والمخزون الفكري في ذاكرة المتلقي فضلاً عن العلاقة المفهومة التي يستخدمها المتكلم والسامع في التعامل مع النص الخطابي.

الخطابة حدث كلامي وهدف للمضمون وموقف للاتصال والتواصل، وممارسة فعلية اجتماعية للنص المنطوق يحقق القصد بالاخبار والقبول والتأثير بطريقة معينة معلومة متصورة بين الحدث الكلامي وسياقه، أن فهم الحدث الخطابي يعني معرفة المرسل، والمتلقي، والعلاقة القائمة بينهما في إطارها الزماني والمكاني، فالخطيب له الأثر الواضح في موضوع الخطابة ومضمونها، وبنائها وسياقها، فهو العنصر المتحكم في الموضوع والمضمون والمتلقي السامع عليه أن يتابع الخطيب في ما يسمع ويعي ما يراد من الخطبة من دلالة وإيحاء.

إن الخطيب في بحثنا هو الرسول الأكرم محمد ، والمتلقي جماعة المسلمين الأولين في أول خطبة جمعة في مدينة الرسول والمدينة المنورة وهذه الخطبة أنموذج رائع من كلام سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، القدوة الحسنة التي يقتدي بها المسلمون، إذ هو أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهداهم إلى طرق الصواب، قال نبينا في خطبة أول جمعة جمعها بالمدينة المنورة: ((لحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده

ورسوله، أرسله بالهدى والنور الموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل.

من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله، فأنه خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا، وأن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذخراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينهما أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رؤوف بالعباد.

والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك، فأنه يقول ﷻ : ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق/ ٢٩] . فاتقوا الله في عاجل أمره وآجله، في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يوقي مقته، ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه، وأن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم، فأنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس. ذلك بأنَّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون عليه. الله اكبر ولا قوة إلا بالله العظيم))[1].

يمكن أن ننظر إلى الترابط الدلالي للخطابة النبوية من محاور ثلاثة هي: محور السياق الخطابي، ومحور الموضوع الخطابي، ومحور الربط الخطابي.

أولاً: محور السياق الخطابي:

الفرد حين يتكلم يغترف من المعين المختزن في ذهنه، فتصير الكلمات ألفاظاً متتابعة يصوغها بحسب نظام اللغة، والكلمة التي تفيد معنى في صياقها لا تفيد المعنى نفسه في سياق آخر، فهي تعطيك معناها الدقيق وهي في سياقها، وتبتعد عن دقتها إذا عزلت عن سياقها فتصير مبهمة. والمتكلم يتغير ألفاظه وينظمها في جمل بحسب ما يحس به داخلياً وحسب الظروف المحيطة بكل ما فيها، فيتنوع التعبير تبعاً لتنوع المقام، ويتم جلاء المعنى بتظافر المعنى المقالي، والمعنى المقامي بظروفه وأحداثه ووقائعه وملابساته وقرائنه المصاحبة. وهو مدرك علمه أهل العربية في فهم العلاقات الدلالية للخطاب في الاحتكام إلى السياق والاستعمال، والخطاب كلمات، والكلمة فيه كل مركب من عناصر لغوية ودلالية، يكون الفصل بين هذه الدلالات عن طريق السياق؛ لأنه هو الذي يجدد المغزى، ويبين نوع العلاقة بين كلمات الخطاب [٢].

فالسياق بمفهومه كل ما يتصل بالمفردة من قريب أو بعيد من ظروف وملابسات وعناصر لغوية أو غير لغوية متعلقة بالمقام الذي تنطق فيه المفردة، وهذا ما بينه عبد القاهر من أن الألفاظ لا تؤخذ كدوال بذاتها، بل ترتبط بما يجاورها من ألفاظ [٣].

وهي تستمد حياتها من السياق الذي وردت فيه، ويتعدد معناها عن طريقه، فالسياق عند ابن القيم ((يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته))[٤].

إن الكلمة والدلالة ترتبط على نحو وثيق بالسياق، وعلاقاته، فهو الذي يعطي الإضاءة للغرض والقصد، والمبدع يختار الموقع السليم والتركيب الدقيق لكلماته داخل سياقاتها المختلفة، والمعنى يحدد عن طريق العلاقة والسياق فأنك لا تبحث عن معنى الكلمة بل البحث عن استعمالها، والكلمات يكون لها من المعاني بقدر ما لها من استعمالات في السياق [٥]. فمعنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها.

إن لكل موقف أسلوب ولغته التي تراعي هذه المواقف وتعبر عنها. ومعرفة المتكلم فهم الناس ومقدار ثقافاتهم ووعيهم ودرجة علمهم على أساس الملاءمة بين الكلام ومقامه، وهي تمثل مقتضى الحال والموقع الاجتماعي للمتكلم والمتلقي. قال الجاحظ: ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[٦].

ثانياً: محور الموضوع الخطابي:

أن العلاقة بين النص الخطابي والسياق علاقة تلازمية، وتفاعلية بينهما في معرفة هوية المرسل، والمتلقي، والخطاب، والعلاقات المحيطة بظروفها الزمانية والمكانية بأحداثها ووقائعها وملابساتها.

إن لقائل النص أثره في الموضوع والوظيفة والبناء ومن ثم الفهم والتعيين والتوضيح، والقائل في محور موضوعنا هو النبي ، المنزل عليه من السماء قران الله تعالى، الناطق بالصدق، الأمين المؤمن المختص بالوحي، المأمور بالتبليغ الإلهي، أنه النبي رسول الله تعالى، وقائد الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح/ ٢٩]، والمتلقي هم جماعة المسلمين الأوائل المهاجرين مع قائدهم إلى المدينة المنورة، والموضوع خطبته عليه الصلاة والسلام ف أول جمعة جمعها وهي قائمة على أساس نصوص الوحي المنزل عليه بالقران الكريم[٧].

وقد راعى إمام الأمة وقائدها أحوال المخاطبين في دعوته إلى التعاون وتأكيد قضية الإخلاص لله سبحانه، وتقواه في السر والعلانية، وبين مبدأ التكافل الاجتماعي بين جماعة المسلمين وهم في حال الهجرة والجهاد في سبيل الله والإيمان بالله تعالى والأخوة في الدين؛ وفي صبر المسلمين ومواساتهم، والاحسان إليهم كما أحسن الله إليهم، والتذكير بنعم الله وفضله.

إنها خطبة تنسجم وأحوال المتلقي والمرسل انسجاماً كاملاً، لما للعلاقات القائمة بينهما من أثر في بيان لغة الخطاب وشكله ومضمونهن وما يختزن في ذاكرة المؤمنين المجاهدين من معرف، وخبرة وثقافة تلقي مع المضمون الخطابي الموجه إليهم، فمن الجملة الأولى في الخطبة وهي الوصي بتقوى الله سبحانه بنيت تتابع الجمل المؤكدة لهذه الوصية، وقامت عليها سائر جملها وعباراتها، وذلك لأن الخطاب ينتظم على متتاليات من الجمل متدرجة، لها بداية ونهاية وهذا التتابع والتنظيم سيتحكم في تأويل الخطاب بناء على أن ما يبدأ به الخطيب سيؤثر في تأويل ما يليه في بيان تقوى الله ومخافته، وتحقيق المناسب المعنوية بين الجمل المتتابعة بعد جملة الانتاج في فكرتها العامة (٨).

فموضوع الخطبة قد شكل إسهاماً دلالياً في لم شمل الوحدات النصية المختلف، ووطد العلاقات المشتركة التي تضع التناسق والترابط في الفهم الدلالي، وجعل النص وحدة منتظمة من المادة الفكرية (٩).

ويظهر في الخطبة الشريفة أن الرسول الأكرم قد حدد غايات هذه الوصية وأهدافها بوضوح ((ومن يصلح الذي بينه وبين الله في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له حداً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت))، والوصية هذه هي من عقيدة الأمة الجديدة، أمة الإسلام، منسجمة في موضوعها وهدفها وغايتها، غاية الإسلام القائمة على الإيمان بالله وحده لا شريك له، ومخافة اله وتقواه، وحسن الخلق والتصرف الحكيم في أمور الدنيا، والجهاد في إعلاء كلمة الله سبحانه لأنَّ ((من يصلح ا بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس)).

هذه هي الوصية نابعة من قلب نبينا الأكرم وفكره إنها وصية المسلم المؤمن بالله تعالى وكتابه المحكم العزيز، قائمة على ما جاء به القران الكريم، فكلامه هو القران، فبدأ بالتقوى فهي عماد الدين والبؤرة المركزية التي تنتظم الفرد المسلم في اعتقاده وعمله وفكره وسلوكه، إذ شملت التقوى مجموعة من الأعمال والسلوكيات الإسلامية التي أشار إليها القران الكريم وأكدها في خطبته الرسول الكريم ، وهي مجمل خطبته وفحواها ومضمونها إذ بدأت الوصية بتقوى الله سبحانه، فإنَّ الله عز وجل مع المتقين في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ١٩٤]، لأنَّ المسلم المؤمن إذا علم شدة عقاب الله سبحانه كان حريصاً على تحصيل التقوى (١٠). فإذا صار المؤمن إلى رحمه ربه لم يخف من عذاب يوم القيامة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٥] ، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام/ ٤٨] فربط سبحانه الإيمان والإصلاح بالتقوى، وهو دليل على أنهم لا يحزنون من أهوال يوم العذاب، فنفي ذلك عنهم لأنَّ المسلم سار في طريق الله وهدايته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٣٨]، فنزل الهدى منزلة الإمام المتبع المقتدي به، فيذهب عن المتبع الهدى الخوف والحزن.

إنه كلام الله سبحانه في إطاعة الله وتقواه وإطاعة رسوله فهم الفائزون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور/ ٥٢]، إذ ربط سبحانه الفوز والظفر في الحياتين، بالطاعة والتقوى، كما ربط الإيمان بالتقوى في قوله: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٧٩]، وجمع الصبر بالتقوى في قوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران/ ١٨٦]، فالأجر والثواب العظيم يكون مع الإيمان والصبر على الشدة والابتلاء، فهي من عزم الأمور، أشدها وأحسنها، فالله سبحانه يؤكد التقوى مع

الإيمان والصبر والإحسان لأنه مع المحسنين، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة/ ٩٣] فلا يضيع الله سبحانه مع صبر المؤمن وتقواه أجره في قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٩٠] وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل/ ١٢٨] قال أبو حيان: ((ومعنى المعية هنا بالنصرة والتأييد والإعانة))[١١]. فهو سبحانه ناصر المؤمنين المتقين ومعينهم في السراء والضراء، فصلاح المؤمن مع تقواه، تجعله في رحمه ربه وغفرانه وثوابه العظيم قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق/ ٥] إنها التقوى حقيقة وجود المسلم وهدفه في الحياتين، قال تعالى ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء/ ٧٧]، في نعيها المؤبد، خير للمؤمن المتقي الله المتمثل لأوامره في ما يحب الله ويرضى.

وأكدت الخطبة النبوية الإخلاص لله تعالى وحده لا شريك له والمعنى مستمد من القران الكريم في قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر/ ١٤]، وقوله ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف/ ٢٩]. في الدعاء ((لا إله إلا الله)) مقروناً بالإخلاص، لأنَّ دعاء من لا يخلص الدين لله لا يجاب [١٢].

وذكرت الخطبة بفضل الله ونعمه على المؤمنين المتقين المختصين برحمته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة/ ١٠٥] فإنَّ فضل الله يجمع عامة أنواع التفضلات، فضله واسع كثير على عباده المشمولين برحمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة/ ٢٤٣]، يجازي الناس بأعمالهم وأفعالهم، ويزيد المحسنين، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور/ ٣٨] ، وعطائه وكرمه ونعمه التي لا تفنى، فالله سبحانه الواهب للنعم، قال ﷻ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل/ ٥٣]. إنها النعمة الربانية والفضل الإلهي الموهوب لمن اختصه الله برحمته، فحدث بها في السر والعلانية، أيها المؤمن المطيع المتقى، فتكون مع الذين أسبغ الله عليهم بنعمه وفضله.

ثالثاً: محور الربط الخطابي:

تتضح الدلالة للمفردة من التركيب الذي هي فيه، والمعنى رهين بموقع المفردة في سياقها، فتستمد مقوماتها من التركيب الذي وردت فيه، ويكون الوصول إلى المراد فهمه عن طريق ((النظر إلى مفردات الالفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق))[١٣].

وترتبط المفردة في السياق بمعاني كل ما يصاحبها من مفردات تساعد على توضيح المعنى سواء تقدمت تلك المفردات على المفردة أم تأخرت عنها، أم اكتنفتها من جانبيها [١٤].

وللسياق أهميته في توضيح دلالة النصوص توضيحاً دقيقاً وسليماً عن طريق إظهار خصوصيات المفردة أو التركيب وربطها بعموم النص، مع إيضاح الفروق المعنوية الدقيقة في التركيب؛ لأن الألفاظ داخل النص ((شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى، أي إنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثل كل خيط فيه أحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة))[١٥].

وهذا الأمر يعود بنا إلى إيجاد العلاقات التي تربط الألفاظ ببعضها ومناسبة بعضها لبعض في المعنى، وموضع المفردات من التركيب في تقديمها أو تأخيرها أو اكتنافها.

إن العربية لا تغير في بناء التركيب اللغوي إلا لغرض معنوي تقصده، فالتركيب مدار اهتمام أهل العربية الذي به تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه مع بعض، فتقوم له صورة أجزاء الكلام، ويلتئم بعض مع بعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان وتنكشف بها المعاني، وذلك؛ ((لأن اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لا تفيد شيئاً، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام))[١٦].

وهذا القول قريب مما ذكره عبد القاهر في وضع الالفاظ في مواضعها وتمكينها في أماكنها في ((تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض))[١٧].

وتحتاج الفكرة أو القضية إلى مجموعة من الروابط والطرائق لشد لبنات الخطاب وأفكاره، وتدرك بها العلاقات الدلالية المقصودة، وهذه الروابط قد تكون ضمن الخطاب وقد تكون ظاهرة تربط بين الجمل المتجاورة أو غير المتجاورة بما يمكن معها التمييز والإفادة [١٨]. ومن هذه الروابط علاقة السبب والنتيجة، وهي تشكل التتابع الخطي والمنطقي في سير المحمولات النصية وتعلق بعضها ببعض، وهي تعطي المعقولية والمنطقية في كيفية تتابع الأفكار في النص الخطابي جميعه، وقد هدف الخطاب البنيوي الموجه إلى جماعة المسلمين الأوائل مشاركة قائد الأمة في تولي أعباء القيادة والدعوة. وكان في الوصل السببي أحد مظاهر البناء في تشكيل الخطاب واستمراره وتواصله، فكانت ((الفاء)) الرابطة في قوله: ((فإنه خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة)) قد أفادت بيان سبب الوصية، وصرفت ((أن)) المصدرية الفعل المضارع ((يحضه)) إلى الاستقبال، في تحقيق الاستمرار [١٩].

وكان للشرط والنتيجة في الترابط دلالته قصد الترغيب والتحذير في قوله: ((من يصلح الذي بينه وبين الله...يكن له ذخراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت)) فالإصلاح بين العبد وربه مرغوب فيه مطلوب في إدامة الصلة بين المرء وخالقه ((من يتق الله فقد فاز فوزراً عظيماً))، والفوز مشروط بالتقوى، وهي تؤدي إلى الظفر والفلاح في الحياتين. وكان للأمر والنهي سببه في قوله: ((خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله)) وذلك في بيان علة الأخذ وعدم التفريط ((قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله)). وكيف يكون ذلك ومعهم القران الكريم، وقائد هذه الأمة محمد .

ومن الترابط الدلالي وردت علاقة التضاد، في قوله: ((من يصلح بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية)) فالإصلاح في الحالتين في إظهار الشيء ونقيضه قد أعطى معنى الشمول وميز العلاقة القائمة بين العبد وربه، في تحصيل الذخر في عاجل أمره وآجله [٢٠].

وبينت علاقة التقابل المناسبة بين الرشد والغواية في قوله: ((من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى))، إذ جعل للطاعة رشداً، وجعل فيما يقابلها الغي والإفراط في المعصية، وقوله: ((يهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة))، فالمقابلة من جهة المعنى أو اللفظ في الموافقة أو المخالفة سمة من سمات الترابط والانسجام الدلالي، وأصابه المعنى [٢١].

ومنحت علاقة التشبيه في قوله ((فاحسنوا كما أحسن الله إليكم)) بدخول كاف التشبيه على ((ما)) المصدرية، الانسجام والتماسك وترابط الدلالة لما في التشبيه من بلاغة التعبير.

وحل الاستفهام الحواري في تمثيله للنص القراني في قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق/ ٢٩]، وكأن السائل يقول: هل يبدل الله كلامه، وكانت الإجابة بنفي ذلك ونفي الظلم عن عباده أيضاً.

ونجد الإضافة المتكافئة قد جلت المعنى وأكدت الربط الدلالي في إعادة الصياغة والمعنى بالتعبيرين المتماثلين في قوله: ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) فالشهادة لا إله إلا الله هي نفسها الله واحد لا شريك له، ومن معنى الإضافة المتكافئة أيضاً قوله: ((ودنو من الساعة، وقرب من الأجل)) وذلك في تقرير المعنى وتوكيده وترابطه فالدنو يراد منه القرب كما يراد من ((الفترة)) الانقطاع في قوله: ((على فترة من الرسل، وانقطاع من الزمان)) وهذه المتماثلات تعطي السامع لمواصلة في التلقي والمتابعة في الاستماع ومراعاة للحال والمقام.

وحققت الإضافة بالعطف معطيات الترابط والانسجام، والترتيب في قوله: ((الحمد لله احمده واستعينه، واستهديه واستغفره، وأومن به ولا أكفره)) وقوله: ((أرسله بالهدى والنور والموعظة)) أفادت هذه العطوف البناء المتنامي المرتب في طريق تكامل النص الخطابي بالصورة الشمولية المتوازنة المترابطة.

وجاء التماسك والترابط من التكرار وأثره في نفسية المتلقي، وتمكنه من السامع في بيان قيمة الوصية وتأثيرها، فمن ذلك وردت ((تقوى الله)) مكررة

مرات، وفي كل تكرار يضاف لها دلالة جديدة تضم إلى بناء الخطبة القائمة على هذه العبارة المؤثرة بنائها، وتشكيلها، وتركيب مقاطعها. وجاءت دلالة الفعل المكرر ((يوقي)) في قوله: ((أن تقوى الله يوقي مقته، ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه)) لتأكيد دلالة التقوى. وتكرر لفظ الجلالة ((الله)) سبحانه؛ لأنه المحور الرئيس في هذه الخطبة في مجملها ومفصلها، ويشف عن اقتراب الخطيب والسامع المتلقي من حضور الله معهم، وهذا ينسجم مع حال المسلمين ومقامهم.

وبرز التكرار الجزئي نحو قوله ((عادوا- اعداءه)) و((جاهدوا- جهاده)) و((عمل- اعملوا)) وقد تحكم في اظهار المعاني والكشف عن اهتمام المتكلم وحرصه على وضوح كل محور من محاور الحديث، وقد مثل هذا جزءاً من الهندسة الشعورية التي بنيت عليها الخطبة، وساهم في تمكين الترابط وبيانه.

وإذا كانت بداية الخطبة مفتاحاً لها، فإن الخاتمة هي القفل عليها، فالارتباط والربط بين مفتتح الخطبة وهي الوصية بتقوى الله ومخافته وخاتمة الخطبة وهي بأن الله يكف العبد ما بينه وبين الناس، وقوله : ((بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه)) وهذا القضاء هو من قوة الجبار سبحانه فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة البحث

تتسم العربية بسعة التعبير عن المعاني، وطرائقها وأساليبها والدقة في مسالكها ونظامها في الكشف عن أسرارها. والمعنى عندنا رهين بموقع المفردة في سياقها عن طريق تنسيق الوحدة اللغوية، ووضعها في سياقات متباينة من أجل عقد الصلة بين المعنى ومبناه، ويظهر الإبداع النبوي الشريف في الاختيار والتركيب للمفردات داخل سياقها لتفجر الطاقات الحاملة للمعاني النابضة بالحياة مراعاة لظروف المقام، وحالة المسلمين المخاطبين، ومقتضى حالهم في التواصل اللغوي، وهذا التواصل بين حامل الرسالة والمتلقين للخطاب هو الأساس الذي يبنى عليه الوجه الاجتماعي في اللغة، إذ تتمثل فيه العلاقات والأحداث التي تسود الأجواء ساعة أداء المقال، وتحديد الدلالة والموضوع يأتي من تظافر المواقف والنصوص،

فلكل موقف أسلوبه الخاص به، يمكن أن يدرك المتلقي تدفق المعاني وترابطها بين ترتيب الجمل وتنظيم النصوص وتماسك الأسلوب في البناء والربط، فكان للترابط الدلالي في الخطبة الشريفة أثره الفاعل في الفهم والتواصل وتلقي مضمون الخطاب الهادف إلى التوحيد والتقوى التي جمعت الفضائل الإنسانية في القول والعمل، طريقاً واضحاً يسير عليه المسلمون إتباع النبي محمد ، وهدفاً للوصول إلى الحياة الحرة الكريمة في الدنيا، ونيل شرف الجنة في الآخرة.

الهوامش:

(١) جمهرة خطب العرب ١/ ٥٦- ٥٧.

(٢) ينظر: علم الدلالة احمد مختار عمر ١٩٥، واللغة العربية معناها ومبناها ص ص ٣٩- ٣٤٢، دور الكلمة ص٥٢- ٥٣، اللغة والمعنى والسياق ٢٢٢.

(٣) ينظر: دلائل الاعجاز ٤٦- ٤٧.

(٤) بدائع الفوائد ٤/٨.

(٥) ينظر: علم الدلالة منقور عبد الجليل ٦٤، دور الكلمة في اللغة ٦٢، دلالة الالفاظ ١٠٧، علم الدلالة العربي فايز الدايه ١٩٥، وعلم الدلالة لـ كلود جيرمان ٤٤.

(٦) البيان والتبيين ١/ ١٣٨- ١٣٩ وينظرك الإيضاح للقزويني ١٣، والاتقان للسيوطي ٢/ ٢٣١- ٢٣٢.

(٧) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ص٣٧- ٤٠.

(٨) ينظر: علم لغة النص والأسلوب ٩٥.

(٩) ينظر: نحو النص- إطار نظري ودراسات طبيعية ٨٧، علم ل النص – النظرية والتطبيق ١٩١.

(١٠) ينظر: البحر المحيط ٢/ ١٠٨.

(١١) البحر المحيط ٥/ ٦٩٨.

(١٢) البحر المحيط ٤/ ٣٧١.

(١٣) البرهان في علوم القران ٢/ ١٧٢.

(١٤) ينظر: علم الدلالة احمد مختار عمر ٦٨، مناهج البحث في اللغة ٢٣٣، دور الكلمة ٥٤، اللغة والمعنى والسياق ٨٣.

(١٥) اللغة والمعنى والسياق٨٣.

(١٦) المقتضب للمبرد ٤/ ١٢٦، وينظر: كتاب الصناعتين لأبي هلال ١٦١.

(١٧) دلائل الاعجاز ٤٣- ٤٤.

(١٨) ينظر: علم لغة النص- النظرية والتطبيق- ١٨٧.

(١٩) ينظر: نحو النص – إطار نظري- ٢٦٧. ودراسات تطبيقية، ولسانيات النص ٢٣، والجوانب الاعلامية في خطب الرسول ٣٤، وعلم لغة النص والأسلوب.

(٢٠) ينظر: علم لغة النص والأسلوب ٨٥.

(٢١) ينظر: الصناعتين ٣٧١.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**
- الاتقان في علوم القران للسيوطي جلال الدين- تحقيق محمد أبو الفضل- المكتبة العصرية- صيدا- لبنان- ١٩٩٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني- دار إحياء العلوم- ط٢ بيروت- ١٩٩٣م.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي- تحقيق د. عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي- ط١- بيروت- ٢٠٠٢م.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية- مكتبة الصفا- ط١- ٢٠٠٥م.
- البرهان في علوم القران للزركشي بدر الدين – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة- ط٢- بيروت- د. ت.
- البيان والتبين لأبي عثمان الجاحظ- تحقيق فوزي عطوي- دار صعب ط١- بيروت- ١٩٦٨م.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لاحمد زكي صفوت المكتبة العلمية- بيروت- د. ت.
- الجوانب الاعلامية في خطب الرسول لسعيد بن علي ثاب- وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف- ط١ السعودية- ١٤١٧هـ.

- دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني- تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي مطبعة الفجالة الجديدة- ط١- مصر- ١٩٦٩م.
- دلالة الالفاظ – د. إبراهيم أنيس- المطبعة الفنية الحديثة- ط٣- ١٩٧٦م.
- دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان- ترجمة د. كمال محمد بشر مكتبة الشباب- ط٣- ١٩٧٢م.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري- تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- بيروت- ١٤١٩هـ.
- علم الدلالة لاحمد مختار عمر- عالم الكتب- ط٥- ١٩٩٨م.
- علم الدلالة العربي د. فايز الداية- دار الفكر- ط١- ١٩٨٥م.
- علم الدلالة- كلود جيرمان وريمون لوبلان- ترجمة د. نور الهدى لوشن دار الفاضل- دمشق- ١٩٩٤م.
- علم الدلالة منضور عبد الجليل- منشورات اتحاد الكتاب العرب- دمشق- ٢٠٠١م.
- علم لغة النص- النظرية والتطبيق د. عزة شبل محمد – مكتبة الآداب- ط١- القاهرة- ٢٠٠٧م.
- علم لغة النص والأسلوب- نادية رمضان النجار- مؤسسة حورس الدولية- جامعة حلوان- مصر- ٢٠١٣م.
- لسانيات النص- مدخل على انسجام الخطاب- محمد خطابي- المركز الثقافي العربي- ط١- ١٩٩١م.
- اللغة العربية معناها ومبناها- د. تمام حسان- عالم الكتب- ط٣- ١٩٩٨م.
- اللغة والمعنى والسياق- جون لاينز- ترجمة د. عباس صادق الوهاب- دار الشؤون الثقافية- بغداد- ط١- ١٩٨٧م.
- مناهج البحث في اللغة – د. تمام حسان- مطبعة النجاح- الدار البيضاء- المغرب ١٩٧٩م.
- نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية- عثمان أبو زيند- عالم الكتاب الحديث- ط١- ٢٠١٠م.

Semantic coherence in prophetic rhetoric

Usra K. Housein
College of Education/ Ibn Rushd
University of Baghdad

Abstract:

How semantic correlation enables the listener to recognize the flow of meaning resulting from the organization of the text of the speech and cohesion, And has become a rhetorical text communication unit understandable homogeneous organization and sequence of construction and the link between sentences speech row.

Shows the creativity of Prophet Mohammad in the selection and installation of the vocabulary within the context of the explosion of energies bearing in mind the meanings of the vibrant place to conditions, This communication between the holder and the message recipients of the speech is the foundation upon which to build in the face of social language, It is the relationships and events, which dominates the atmosphere hour performance of the article and determine the significance and the subject comes from a concerted attitudes and texts.

Valkhtabh happened and my goal for the content and position of the contact, communication and the actual practice of social text operative achieves the intent and acceptance by informing and influencing perceived in a certain way information between the event and context of verbal, To understand the event rhetorical means knowing the sender, the receiver, and the relationship between them in which the temporal and spatial, Valkhtaib has a clear impact on the subject of rhetoric and content, construction and context, he is controlling element in the subject and content and the receiver upon the listener to follow Khatib in what he hears and understands what is meant by the sermon of indication and suggestion